

اليسار وتجربة عبد الناصر ...

صحيح من الناحية المجردة ، وبشكل تقريبي ، لما وصل اليه المجتمع المصري حتى الان في ظل التجربة الناصرية ، مع ضرورة وضع تحفظ اساسي على هذا الرصد ، وهو انه « يصف » الوضع القائم كأنما هو الوضع « النهائي » للمجتمع المصري في ظل « التجربة الناصرية » .

ولست اعتقد أن المفاصلة قد بدأت من عند الدكتور فؤاد زكريا ، لا بتجاهله سؤال « روز اليوسف » ولا بطرحه سؤاله الخاص المستتر وتقديمه نصيحته الاخيرة .

انما اعتقد ان المفاصلة تبدأ بالسؤال الذي طرحته المجلة ذاتها ، وكانت اي محاولة للمراوغة والابتعاد عن هذا السؤال ، كما فعل الدكتور زكريا ، تقتضي التسليم بالمفاصلة الاولية في نفس الوقت ، مع ، ورغم طرح السؤال الى الآخر .

في ظني ان الدكتور زكريا ادرك سوافق- على ان السؤال : ماذا كان دور اليسار المصري في ايام التجربة الناصرية ، والى اي حد كان مسؤولا عن الصواب والخطأ فيها ؟ انما يعين ببساطة ان التجربة الناصرية قد اكتملت وانتهت واصبحت في ذمة التاريخ ، كما ادرك - ووافق ايضا - على ان نفس السؤال انما يعني ايضا ان اليسار المصري قد كان له « دور » واع مباشر في صياغة التجربة ، وفي توجيهها ورسم مسارها ، وانه بالتالي كان مسؤولا عن الصواب والخطأ فيها (رغم ان ما سمي بالقرارات الاشتراكية قد صدر بعد مضي عامين ونصف على وجود اليساريين في السجون ، وانهم قضوا في السجون فترة مماثلة بعد صدور هذه القرارات) فالمشكلة هسي تحديد كمية « الدور » ومدى المسؤولية ، وليست المنازعة في وجود الدور وقيام المسؤولية . ويرى الدكتور انه بما ان التجربة قسدت « انتهت » الى ما انتهت اليه (على المستوى الاجتماعي والوطني) فان اليسار « كان » ضد نفسه وضد مبادئه في تحمل مسؤولياتها ، وانسه لن يستعيد ذاته بوصفه يسارا ، ولن يستعيد او يستنقذ جماهيره ، الا اذا « نفخ يديه » منها ، وعساد الى نفسه الاولسى - داعية للتفسير لا للمحافظة على الوضع القائم (!) وكف عن الدفاع عن « وضع قائم » هو « اخر » الطريق الذي لا تستطيع التجربة أن تواصل السير بعده .

فهل كل هذا صحيح ؟

هل اكتملت « التجربة الناصرية » وانتهت واصبحت فسي ثمة التاريخ ؟ وهل كان لليسار المصري فيها دور ومسؤولية ، حتى ولو

لمعت مجلة « روز اليوسف » المصرية في اعدادها الثلاثة (الصادرة في ١٤ و ٢١ و ٢٨ ابريل نيسان الماضي) ثلاثية كتبها الدكتور فؤاد زكريا ، تحت عنوان : « جمال عبدالناصر واليسار المصري » . واعلنت المجلة ان الدكتور زكريا ، يكتب مقالاته بنموة منها ، وانها اختارته بالذات ، كباحث مستقل ، غير متمصب ولا يدين بغير الحقيقة : « كما يفهمها بمقاييس البحث العلمي الجرد » وذلك لكي يجيب على سؤال : ماذا كان دور اليسار الحقيقي في ايام التجربة الناصرية ، والى اي حد كان مسؤولا عن الصواب والخطأ فيها ؟ وقالت المجلة ان السبب الذي دفعها الى التفكير في تقديم اجابة على هذا السؤال ، يكتبها باحث موضوعي محايد وعلمي ، هو أن تصعيد اخطاء عبدالناصر ثم نسبتها الى اليسار ، اصبح من اخطر اسلحة التضليل السياسي في الايام الاخيرة .

ولم يقدم الدكتور فؤاد زكريا اية اجابة مباشرة على السؤال المطروح ، وانما قدم ببساطة اجابة على سؤال آخر وان لم يكن قد طرحه بشكل مباشر . كان السؤال المستتر ، لماذا يدافع اليسار المصري دفاعا غير متحفظ عن تجربة لا تعبر عن مبادئه ، بل قامت ضد هذه المبادئ ، وسحبت الارض من تحت قدمه فخنته وهي تتظاهر بانها تحنضه ، ووصلت الى بناء مجتمع طبقي اكثر ضراوة ومهارة واستغلا من المجتمع الذي هدمت نصفه وامتزجت بنصفه الباقي ؟

واختتم الدكتور فؤاد زكريا مقالاته اثلاث ، بنصيحة صيغت هي الاخرى في شكل سؤال مستتر يقول : اليس غربا الا يسر اليسار المصري بنفص يده من هذه التجربة الفاشلة ، التي يوجه اليها اليمين الان قذائفه لكي يهدمها ولكي يهدم اليسار معها ، وهي بالقطع « آيلة للسقوط » ؟ والم يحسن الاوان لهذا اليسار لكي يشيد لنفسه « سمعة » جديدة ، قائمة على مصارعتة ضد التجربة الناصرية وهذا اليمين في وقت واحد ، حتى يستعيد جماهير التقدم والتحرر والعدالة التي يكاد اليمين ان يسحبها من وراء الناصرية واليسار جميعا لحساب العودة بمصر الى ما قبل ١٩٥٢ ؟

ولست احسب ان هناك مفاصلة مع « المنهج العلمي » ومسح موضوعية البحث وحياديته ، يمكن أن تكون اوضح من هذه المفاصلة - في صياغة المطلب الوجه الى اليسار ، مطالب « نفخ اليد » من التجربة ، وصراعه ضدها (و) ضد اليمين (في وقت واحد) ، رغم قيام هذه المفاصلة بذكاء - وبحسن نية شمبية مؤكدة - على رصد

سلمنا بصحة استخدام كلمة « التجربة » هنا (1) وهل ما ينبغي على اليسار المصري الآن هو ان ينفذ يديه عنها لكي يستعيد نفسه ويستنفذ جماهيره ولكي يظهر بوجهه الحقيقي ، داعية للتغيير والتقدم ؟

يقنعنا السؤال الاول ان نبدأ بطرح تصور محدد عن مضمون التجربة الناصرية ، لكي نكتشف ان كان هذا المضمون ما زال قائما (بالمفهوم التاريخي الموضوعي للمرحلة القائمة في مصر) ام انه قد انتهى بموت عبدالناصر ، او بعودة « اليمين » الى مقاعد كثيرة في الصدارة من أجهزة الاعلام والادارة والاقتصاد ، او حتى بعض الاجراءات الاقتصادية التي تشير الى فتح المجال امام رأس المال الخاص - وقوة الاجاه الرامي الى تسويد السوق الرأسمالية المفتوحة - بل وتصفية اجزاء من القطاع العام الذي كان السند الرئيسي في تفسير تحول « ٢٣ يوليو » الى الطريق « اللاراسمالي » والى اقامة دولة « الديمقراطية - الوطنية » .

اختصارا نقول ، ان المضمون الحقيقي لدولة « ٢٣ يوليو » التي سمت في ذروة تطورها بعد ١٩٦١ فترة حاسمة - ونهاية - من ثورة التحرر الوطني الديمقراطي المصرية ، يمكن تلخيصه في اربع نقاط :

- تحقيق الاستقلال الوطني ، السياسي والاقتصادي .
- اقامة نوع جديد من الديمقراطية على اساس فهم اجتماعي باعادة توزيع الثروة والعلم ومراكز السلطة والادارة والتشريع .
- السير في طريق اقامة الدولة العلمانية .
- اكتشاف الانتماء القومي الحقيقي لمصر ، والسير في طريق تأكيد هذا الانتماء حضاريا ، تهيدا لطريق ازدهار الثقافة القومية وتوحيدها ومقرنتها في النهاية .
- ومن المهم هنا ان نضع مجموعة من الملاحظات :

اولا : ان تلك النقاط الاربعة ، تحتوي على الاهداف الرئيسية لمرحلة ثورة التحرر الوطني الديمقراطي في مصر ، التي كانت ثورة ٢٣ يوليو باضوار نضجها المتلاحقة خطوة هامة منها ، ينسب هذا التطور حتى الان انها الخطوة الأخيرة ، التي يمكن ، وينبغي ان نهدد للتحول السلمي الى مرحلة اقامة المجتمع الاشتراكي العلمي على المستوى المحلي ، وهي الخطوة - على المستوى القومي التي ترابطت مع الثورات العربية الاخرى المعبرة عن نفس المضمون ، باشكال واساليب مختلفة ، في الافطار العربية التي تنضج فيها ظروف التحرر الوطني الديمقراطي بنفس المستوى او بمستوى مقارب منه طبقا لتغيرات الظروف المحلية والقومية والعالمية .

ثانيا : ان ثورة « ٢٣ يوليو » ، كمرحلة - ولو اخيرة - من ثورة التحرر الوطني الديمقراطي قادتها عناصر من الفئات الدنيا من الطبقات المتوسطة ، كانت في معظمها رافضة للحلول التي قدمتها القوى والتنظيمات السياسية السابقة المختلفة فجاءت « ٢٣ يوليو » دون برنامج تقريبا ودون دليل عمل نظري الا مجموعة « الاماني الوطنية » التي برزت في كتابات الكثيرين من الوطنيين السابقين على اختلاف اتجاهاتهم . وقد استوعبت ٢٣ يوليو هذه الاماني بمعانيها المجردة :

(1) ان هذه الكلمة تمنح لمرحلة ٢٣ يوليو من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية طبعا شخصا ، وتجعلها عملا ذاتيا مرتبطا بشخص عبد الناصر . ومهما كان الدور الشخصي الذي يلعبه القائد او الزعيم في وضع مثل وضع المجتمع المصري وفي « ثورة » مثل ثورته ، فلا جدال في ان هذا الدور سيكون في اساسه تعبيرا عن حقائق وقوى موضوعية في السوايق ذاته ، وسيكون شخص الزعيم ودوره جزءا من هذه الحقائق والقوى .

الاستقلال ، الديموقراطية ، التصنيع ، الجمهورية ، الاصلاح الزراعي التسليح ، تحرير فلسطين ، العروبة .. الخ - دون ان تضاع مضامين محدودة نهائية لاي من هذه « الاماني » او القيم ، دع عنك المضمون الاجتماعي . ولذلك وبسبب من الالتزام الوطني القاطع لقيادة الثورة ومصالح الفئة الاجتماعية التي جاءت منها هذه القيادة ومن خلال الارتباط « الوجداني » لهذه القيادة بشعارات الحركة الوطنية المصرية في انقى اشكالها واكثرها بعدا عن الممارسة السياسية العملية (عرابي ، مصطفى كامل ، عزيز المصري .. الخ) ظلت القيادة تقع في صدمات متتالية نتجت عنها عمليات « تقصي » وتركيز في شخص « الزعيم » الذي ظل يستجيب لما يستخلصه من معاني تجاربه ومرصده لنتائج هذه التجارب ، فيزداد ميله « للشخصي » الى اليسار بمعناه العام « عمليا » بينما نظل يقاوم هذا الميل باستمرار فكريا وسياسيا ويحاول ان « يعطمه » بافكار ينتقها من الثقافة التقليدية السائدة دون ان يتبين الحل الوحيد الصحيح :

وهو اعادة تفسير مجموع الثقافة التقليدية والبنين الاجتماعي والواقع السياسي القائم على ضوء الفكر العلمي (ولذا سر ان الماركسيين انفسهم لم ينجزوا هذه المهمة حتى الان ، ونشك ان الجيل الحالي من قياداتهم قادر على انجازها (2)) . وينسج عن هذا التركيز على شخص « الزعيم » ان يزداد انزاعه من ناحيه على قمة السلطة ، وان يزداد احتياجه في نفس الوقت الى « مطبقين » لتعاليمه ، يتنازل لهم او يكل اليهم جانبا من سلطاته . وهو يرفض او لا يقبل ان يتبنى « الفكر العالي » كاملا ولا يستطيع ذلك ، رغم اجراءاته وقراراته - المحلية والقومية والعالمية - التي تزداد ميلا الى اليسار ، وبناء على ذلك تظهر « مراكز القوى » من الصفوف الخلفية من رجال الزعيم : ليسوا « اشتراكيين » ولكن يطلب منهم ان ينفذوا قرارات « اشتراكية » والزعيم يرفض ان يتنازل عن جانب من سلطاته لاشتراكيين حقيقيين حتى لا يصبغوا « تجربته » بصبغتهم ، رغم رغبته المتزايدة في استخدامهم لتفسير « اجراءاته » وتحليل الواقع الذي تخلفه هذه الاجراءات . وبناء على ذلك ايضا يزداد انزاع « الجماهير » الكادحة والفقيرة التي لا سبيل لها الى « ادارة » ما قيل انها تملكته من وسائل الانتاج بفعل قرارات الزعيم ، ولا سبيل لها بالتالي الى « مراقبة » الادارة التي خلقتها قرارات اخرى : وتتضخم الفئات التي خلقتها هذه القرارات والتي تولت « الادارة » وتولت مراقبة الادارة ، وتتضخم الى جانبها كل الفئات المالكة التي نجت لسبب او لآخر من هذه القرارات (اما لانها اجادت الاختباء ، او اثبتت ولاهها ، او كانت اصغر من ان تلفت النظر ، فقرارات الزعيم لم تكن نابعة من مبدأ نظري شامل ، ولكنها كانت نابعة من تطور البعد الوجداني الذي تحدثت عنه منذ قليل ومن تلاحق ممارك الزعيم مع الفئات التي ترفض الاشتراك

(1) ربما كان هذا النوع من الارتباط، الذي نجد له امثلة كثيرة في خطب عبد الناصر حتى نهاية حياته ، هو البديل العاطفي للالتزام الايديولوجي والوضوح الفكري عند قيادات من هذا النوع الذي ينمو في الظل ، بعيدا عن الاحتكاك العميق بالتيارات الوطنية القائمة بالفعل . نقطة جذرية بالدراسة .

(2) اليس من المدهش (مثلا) ان يطرح الواقع الطائفي في لبنان نفسه بكل الوضوح الذي طرح به في احداث النصف الثاني من مايو ايار الماضي ، وان تتحدد كل التحركات والحسابات والشعارات من كل الاتجاهات بناء على انواع مختلفة من الفهم لهذا السوايق الطائفي ، مع الاختلاف اساسا في طريقة التعامل معه : بينما ظل الماركسيون العرب الى الان رافضين ان يدرسوا بوضوح معنى الاوضاع المشابهة في لبنان والعراق وسوريا والاردن ؟؟

في تدعيم تجربته) . ومع تنامي مصالح الكتبة : فئة « المديرين » الجدد ، وفئة صغار الملاك القدامى ، ومع ازدياد تهديد ميل «الزعيم» الى اليسار وازدياد تهديد تحول هذا الميل الى انتماء عملي (وخاصة بعد ظروف ١٩٦٧) ، ترابط الفنان في تحالف وثيق ، وتفقد دولة « ٢٣ يوليو » بهذا الشكل ولاء جهازها التنفيذي لـ « ميول » زعيمها ، استنادا الى ميوله القديمة ، او الى مواقف عملية بعينها كان قد اتخذها في مرحلة من مراحل تدبذه .. الخ ورغم هذا يستمر ولاؤه لـ « شخصه » واعتراؤه بجميله عليهم . وفي لحظة واحدة يوقهم موته في الاضطراب ، وينقلهم ايضا من التناقض السذبي سيودي بهم الى اختيار طريقهم المنطقي الذي ستمليه عليهم مصالحهم وارتباطهم بالفئة التي تضخمت من صغار الملاك (والتجار والمقاولين والصناعيين .. الخ) تسندهم ايضا ضرورات « تكتيكية » مسن الظروف القومية والعالية .

ثالثا : ان « التجربة الناصرية » او دولة ٢٣ يوليو ، كانت ناجا طبيعيا وامتدادا لمنجزات حركة التحرر الوطني المصرية ، ثم لمنجزات حركة التحرر والتوحيد القومي العربي ، وللطبيعة الخاصة لكل من الحركتين ولظروفهما . ورغم ان دولة ٢٣ يوليو ، كانت من المحاولات الجادة الاساسية التي تبذلها شعوب الامة العربية لتجاوز المعطيات الموضوعية - التاريخية والمعاصرة - لهاتين الحركتين ، فان نفس المعطيات كانت لها الغلبة في معظم الاحوال على المستوى الفكري ، بينما اتسمت محاولة التجاوز بالطابع العملي وبانزعة التجريبية . ان طبيعة التطور الاقتصادي - متفاوت بالطبع - في المجتمعات العربية ، وطبيعة التركيبة الثقافية والايديولوجية الشديدة التقيد للامة كلها ، وازدواج الوجود القومي للامة تحت وطأة عوامل قهسر شديدة التأثير ، بحكم اسانيدنا الدينية اولا ، ثم بحكم تفوقها الحضاري الساقب بعد ذلك ، الامر الذي لم يسمح للثقافة القومية بالتطور المستقل مثلما لم يسمح لبنائها الاقتصادي بالتطور ايضا ، يضاف الى ذلك طبيعة الظروف التي بدأت فيها « النهضة » والتي ادت الى الارتباك التاريخي للثقافة القومية نتيجة للعجز والتفتت السياسيين وتخلف البناء التحتي في مصر وفي بقية الاقطار العربية ... الم تكن دولة « ٢٣ يوليو » الا جزءا وامتدادا لنفس قسوى « النهضة » المرتبة المترددة الهياوية ، التي ورثت من البناء الفوقي الذي لعنته اجيال « النهضة » الوانا من القيود والكوابح قيست حركة تحرير واعادة تشييد البناء التحتي نفسه .

وعلى الاساس نفسه ، كان اليسار المصري ايضا ، جزءا وامتدادا لنفس المعطيات ، وان الاساس الذي قامت عليه علاقة اليسار بدولة ٢٣ يوليو ، كان مستندا من المعطيات ذاتها . ان هذا اليسار المصري بكل ما يجب ان تعترف له به من ايجابيات ومنجزات ، كان نتاجا ايضا لتطور متناقضات الواقع نفسه ، ولقدرة هذه المتناقضات على استيعاب « الفكر العلمي » الذي لم تكن وسائل وقوى الانتاج قد تطورت الى الدرجة التي تسمح له بتوليد حتى مجرد بسذوره الاولى ، بقدر ما لم تكن الثقافة القومية قد وصلت الى وضع يسمح لها بان تتلاقح مع هذا الفكر لكي تؤسس اجنتها الاثر ثورية نفسها عليه (١) . وبالتالي فان المتناقضات الاجتماعية - على المستوى الطبقي وعلى المستوى الفكري - لم تكن قد وصلت الى درجة من النضج تسمح لها بان تصوغ لنفسها « منهجا »

(١) لتذكر ان طه حسين ، الذي كان قد كتب رسالة اكااديمية عن المعري ثم عن ابن خلدون ، قد اختار ان يتبنى افكار الوضعيين الاجتماعيين الفرنسيين ، وان يطبق مبدأ « الكوجيتو » الديكارتي على مجال مختلف كلية عن مجال التجربة الفلسطينية الديكارتي ، ولم يكتشف الامكانية العملية لتطوير تراث الفكر العقلي العربي .

نظريا يحسن تفسير الواقع التفسير العلمي ، حتى يمكن التعامل مع جزئيات الواقع اليومية والمرحلية ، لكي يتمكن « اليسار » من قيادة حركة الواقع نحو التغيير بتلاحم حقيقي بينه وبين الطبقات التي تمثل « يسار المجتمع » ، تلك التي لم تصرف عن اليسار الا دعايات اعدائه ، او حتى لكي يتمكن هذا اليسار « المثقف » من المشاركة بشكل فعال في التأثير على القيادة التي كانت قد ظهرت لكي تتولى عملية التغيير حسب خبراتها واكتشافاتها الخاصة وفهمها للواقع .

كانت ثورة ٢٣ يوليو اذن ، مثلما كان اليسار المصري والفومي والتيارات السياسية الاخرى في مصر ، نتاجا طبيعيا لمعطيات التاريخ والحركة الوطنية الديمقراطية بكل جوانب قصورها ونقصها « المتميزة » . وكانا معا مضطرين الى البحث عن اسانيد نظرية تنتمي الى ظواهر اجتماعية مختلفة اختلافا نوعيا كاملا ، ولم يكن احدهما يملك الفهم النظري العلمي لا لمعطيات التاريخ ولا لمعطيات الواقع . وكانا مضطرين معا الى خوض الطريق التجريبي ، طريق التجربة والخطأ بحثا عن صواب اكثر دقة في فهم الواقع والتعامل معه والتعبير عنه . وكان الفارق شكليا : لم تكن ٢٣ يوليو تستند الى « نظرية » جاهزة فضمت تبحث عن الاسانيد الفكرية في كل منبع ، وكان اليسار يملك « النظرية » فمضى يبرر بها - وهي نظرية ثرية ثراء عشرات التجارب التي اهدت بها - كل موافقه المتناقضه من كل شيء في الظاهرة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، واحسب اننا في غنى عن ضرب امثلة لهذه المواقف المتناقضة الى حد مضحك ومخزن معا . لا شك انهما تبادلتا التأثير : اليسار يقدم الافكار احيانا لانه لا يملك غيرها و « ٢٣ يوليو » تقدم ، الملامح التي تستطيع اضافتها الى الواقع او تغييرها فيه بحكم ما تملكه من السلطة والقدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها . وعن طريق حركة بنعول الاسلوب التجريبي ، وتحت ضغوط السلطة ومفاجآت قرارات « ٢٣ يوليو » التي سبق ان قدمنا تصورنا لاسبابها في حديثنا عن « تطور الزعيم » ، سلم اليسار بان « ٢٣ يوليو » تفتح الطريق بالتطور للاراسمالي وبدولة الديمقراطية الوطنية الى تحول اشتراكي سلمي ، وسلمت « ٢٣ يوليو » بان اليسار عنصر طيب من عناصر « الادارة » الرسمية للمجتمع اذا تنازل عن وجوده المستقل التميز وانصوى تحت لواء تنظيمها (على اساس انه ليس لهذا التنظيم « ايديولوجية » واحدة وانما برنامج عمل تلتزم به قوى التحالف ، وبعض الاسس النظرية التي يطلب فقط عدم « مهاجمتها » دون ضرورة لاعلان « الايمان بها ») . لم تكن الظواهر الاجتماعية والسياسية المتناقضة مع تطور « الزعيم » ومع جوهر المبادئ والقرارات وانها توحى لليسار باكثر من « الانزعاج » العملي ولا يرى فيها ما يبرر الثور الايديولوجي ، وكان يكتفي بـ « تفننها » وهو يفسرها ، والتحذير من « نتائجها » وهو يبرر ظهورها (احيانا بظروف التنمية ، وحيانا بظروف مرحلة التحول ، وحيانا بظروف الحرب والهزيمة ، وحيانا بتأثير المسكر الامبريالي ، ونادرا بقصر نظر - مجرد قصر نظر - المسؤولين عن تنفيذ القرارات او تطبيق المبادئ) .

كان موقف اليسار هو موقف من هبطت عليه مائدة من السماء تحقق كل احلامه دون ان يكون مضطرا لدفع ثمنها : ها هي التحليلات القادمة من عند الاباء الروحيين (من الرفيق خروشوف وسوسلوف الى الرفيق الهندي جوش) تقول ان التطور « الاراسمالي » ممكن ودولة الديمقراطية الوطنية حقيقة قائمة ، وابعاء اخرون (جاروري قبل ان يصدر قرار حرمانه وتولياني قبل ان يموت .. الخ) يقولون ان شروط لينين للتحول الاشتراكي ، (سلطة الطبقة العاملة ، والحزب ، والاممية .. الخ) لم تعد تنمى بنفس القدر من الضرورية (وكانت تحليلاتهم متعلقة بظروف فرنسا وايطاليا وغيرها مسن

لتطبيق برامجها الخاصة دون تعير نظري بمصير ثمرات تلك البرامج ، قد تحول الى « واقع » جديد ، او على الاقل اضافة بالفة الاهمية والحسم على الواقع الذي كان قائما ، وهي اضافة مستمرة اَلنمو بكل نتائجها ومضاعفاتها وما يترتب على استمرارها من التزامات .

ان المغالطة التي بدأت بالسؤال الذي طرحته « روز اليوسف » قد اوصلت الى تجاهل ان « ٢٢ يوليو » قد خلقت واقعا جديدا ، لم يكن اليسار « مسؤولا » عن خلقه حتى ولا على المستوى الفكري والنظري او صياغة الشعارات ، رغم انه وقع في توهم ان هذا الواقع هو الذي يعبر عنه وعن فكره الخاص ، ثم الى تجاهل ان « اليسار - نفسه ، قد اضحى جزءا من هذا الواقع الجديد غير منفصل عنه رغم انه لم يكن مسؤولا عن صنعه ، وان هذا اليسار بالتالي ، لم يعد يسارا بالمفهوم العلمي الصحيح لمصطلح « اليسار » منذ زمن بعيد . انه يسار لانه يعبر عن نفسه بكلمات او رطانة يسارية . اما « يسار » المجتمع فلا علاقة له بهذا اليسار « المتكلم » . ويسار المجتمع هو اليسار . الجهاهير التي يطالب الدكتور زكريا بان يسرع اليسار المتكلم الى اجتذابها حتى لا يسرقها اليهين بنقده للتجربة الناصرية .. هذه الجهاهير هي « اليسار » الحقيقي ، وهي التي سنتنتج ، او انها تنتج بالفعل من يعبرون عنها .

ثم لا بد لنا من لقاء اخر مع من ناقشوا الدكتور فؤاد زكريا ، من « المتكلمين » ، يسارا ، او يميننا ! .
القاهرة

الدول الرأسمالية الليبرالية ذات تقاليد الجبهات الشعبية القومية) ولكنها تحيليات « مريحة » ثم انها تتوافق مع ظروف « احتضان اليسار » في مصر . اما « التطبيق » الثاني على مانسة السماء ، فكانت « القرارات » نفسها التي وضعت اكثر من ٨٠ بالمائة من الاقتصاد المصري في ايدي القطاع العام ، قابلة للزيادة . ولكن القرارات « غير الملمنة كفت اكثر خطورة ودلالة ، واقوى في تبريرها لما سلم به اليسار . ان من يقرأ النشرات الخاصة للاقتصاد الاشتراكي (في مستوياته القيادية) او برامج الدراسة في معاهد تدريب واعداد هذه المستويات ، لم يكن يلتقي بغير الرطانه الساركسية تقريبا (مع اضافة بعض التحفظات حول الدين مثلا او ديكتاتورية الطبقة الواحدة .. الخ) ولكنها لم تكن اكثر من « رطانة » تكرر نفس العجز عن رؤية معطيات التاريخ التميز - اجتماعيا واقتصاديا وايدولوجيا - للمجتمع المصري . ولم يكن بوسع احد ان يكشف هذا العجز للأسباب السابقة . على هذا الاساس كان اليسار يقع باستمرار في نفس الفخ : فالقرارات يمكن ان تستند الى فكره « نظريا » ، ولكن النتائج العملية لهذه القرارات تثبت دائما انها لا علاقة حقيقية لها بهذا الفكر الا من حيث الشكل المجرد . وقد توصل الدكتور فؤاد زكريا الى هذه الحقيقة ، واكتفى بان يقرها ، وان يرتب عليها مطالبة اليسار بان يحاول الخروج من الفخ ، ونفض يده من التجربة الناصرية ، لكي يستعيد نفسه .. الخ .

ولكن الدكتور زكريا لا يكشف ان ما كان مجرد « فخ » للييسار في البداية ، ومحاولة من السلطة للسيطرة على موارد المجتمع

الفكر العربي

في معركة النهضة

تأليف الدكتور انور عبدالمالك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا - الذي كان « على موعد مع القدر » - اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج التابع من تغيير الاطار المعرفي - وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتبب . الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب - نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المناهضة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية - فكرية استشراقية ، او اممية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة مواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ .